حوليات آداب عين شمس (أبحاث المؤتمر الدولي السابع لقسم اللغة العبرية وآدابها)
(فلسطين: الماضي والحاضر والمستقبل)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

فريضة استيطان الأرض في التلمود
وأثرها على الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة

أ.م.د. علاء تيسير أحمد*
أستاذ مساعد بقسم اللغة العبرية وآدابها– كلية الآداب– جامعة عين شمس
alaa.mahdy@art.asu.edu.eg

المستخلص:

منذ عام 1967 عملت حكومات اسرائيل جاهدةً على بناء وتوسيع المستوطنات، سواء من حيث توسيع رقعتها او زيادة عدد سكانها. نتيجة هذه السياسة، يعيش اليوم حوالي 745.467 مستوطن إسرائيلي يحملون الجنسية الاسرائيلية، في مستوطنات الضفة الغربية وشرقي القدس، كما قامت حكومات اسرائيل، وما زالت هذه الايام تتبع سياسة ممنهجة تشجع على هجرة المواطنين الإسرائيليين إلى مستوطنات الضفة الغربية. وفي حين اقتصر دور حكومات إسرائيل على التحفيز الاقتصادي؛ فجاء دور رجال الدين اليهودي في إسرائيل لاستكمال سياسة التحفيز التي تبنتها حكومات اسرائيل تحقيقا لهدف استيطان الاراضي الفلسطينية، فاعتبروا استيطان الاراضي الفلسطينية فريضة دينية واجبة على كل يهودي؛ اطلقوا عليها مصطلح "מצוות ישוב הארץ" أي "فريضة استيطان الارض".

فخرج علينا الحاخام تسفي يهودا هكوهين كوك أحد أكبر رجال الدين اليهودي في مقال نشره بجريدة هتسوفيه "הצופה" عام 1952 في ذكرى الاحتفال باحتلال الاراضي الفلسطينية عام 1948 قائلا: "مع احتلال أرض فلسطين وإعلان قيام دولتنا منذ أربع سنوات أقمنا فريضة استيطان الارض מצוות ישוב הארץ؛ فما حدث هو معجزة من السماء؛ فيوم الاعلان عن إقامة "دولة إسرائيل" يشبه اليوم الذي منحنا الرب فيه الشريعة". ثم يتبعه رجال الدين اليهودي في إصدار عدد من الفتاوى التي تحث اليهودي على الإقامة داخل الأراضي المحتلة والتوسع في بناء المستوطنات اليهودية حفاظا على أداء فريضة "استيطان الارض".

ونحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على السند الديني الذي دفع الفقهاء اليهود للقول بأن "استيطان الاراضي الفلسطينية" فريضة دينية واجبة على كل يهودي؛ والتعرف على المكانة الدينية التي منحها الفقهاء اليهود في التلمود وكتب الفقه اليهودي للأراضي الفلسطينية؛ وكيف قاموا بدفع اليهود وحثهم على استيطان الأراضي الفلسطينية كونها فريضة دينية، كما نعرض من خلال دراستنا لابرز الفتاوى الدينية الصادرة عن رجال الدين اليهودي في إسرائيل للحفاظ على أداء فريضة استيطان الارض، ونوضح مدى انعكاس تلك الفتاوى على الممارسات الإسرائيلية في الاراضي المحتلة من سياسات بناء وتوسيع المستوطنات وسياسات التهجير القسري للفلسطينيين.

الكلمات المفتاحية: تلمود – فريضة – استيطان – فلسطين

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

مقدمة:

يُعرف الاستيطان لغة بأنه اتخاذ الأرض موطنًا فيقال: اوطنت بالأرض أي اتخذتها موطنًا؛ ويعرف اصطلاحا بأنه عملية إسكان واسعة بأرض محتلة بذريعة الإعمار وإرساء سيطرة الدولة المهيمنة على الأرض. ولقد عرفت الحضارات القديمة الاستيطان كرافد من روافد الحملات التوسعية التي كانت تقوم بها الامبراطوريات القديمة لمد نفوذها والسيطرة على الطرق التجارية، حتى تحول في العصر الحديث وتحديدا مع بداية القرن التاسع عشر إلى نظام استعماري يحركه دوافع عنصرية دينية بهدف الاستيلاء على الارض واستغلال سكانها واقتلاعهم من ارضهم بالإبادة والتهجير، هذا النظام الذي تبناه اليهود منذ القدم؛ فجاء في سفر العدد 33/52-53 " فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ ... وَتُبِيدُونَ ... وَتُخْرِبُونَ... وتَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا"، وهذه هي وثائق الاستعمار الاستيطاني الذي مارسه بنو إسرائيل قديما على ارض كنعان وهي ذات الممارسات التي يمارسها اليهود الصهاينة في استعمارهم الاستيطاني الحديث والمعاصر لأرض فلسطين.

فمنذ عام 1967 عملت حكومات إسرائيل جاهدةً على بناء وتوسيع المستوطنات، سواء من حيث توسيع رقعتها او زيادة عدد سكانها. نتيجة هذه السياسة الاستعمارية الاستيطانية، يعيش اليوم حوالي 745.467 مستوطن إسرائيلي يحملون الجنسية الإسرائيلية، في مستوطنات الضفة الغربية وشرقي القدس، كما قامت حكومات إسرائيل، وما زالت هذه الأيام تتبع سياسة ممنهجة تشجع على هجرة المواطنين الإسرائيليين إلى مستوطنات الضفة الغربية. ومن اجل ذلك، قامت هذه الحكومات بمنح مكافآت ومحفزات اقتصادية مباشرة للمواطنين تمثلت في منح وزارة الإسكان قروض ضخمة لشراء الشقق السكنية داخل مستوطنات الضفة، وإعفاء وزارة التربية والتعليم سكان المستوطنات من دفع المصاريف الدراسية، ومنح وزارة الصناعة والتجارة قروض ميسرة للمستثمرين، وتخفيض وزارة المالية ضريبة الدخل للافراد والشركات داخل تلك المستوطنات.

وفي حين اقتصر دور حكومات إسرائيل على التحفيز الاقتصادي؛ فجاء دور رجال الدين اليهودي في إسرائيل لاستكمال سياسة التحفيز التي تبنتها حكومات إسرائيل تحقيقا لهدف استيطان الاراضي الفلسطينية، فاعتبروا استيطان الاراضي الفلسطينية فريضة دينية واجبة على كل يهودي؛ اطلقوا عليها مصطلح "מצוות ישוב הארץ" أي "فريضة استيطان الارض". وقاموا بإصدار عدد من الفتاوى التي تحث اليهودي على الإقامة داخل الأراضي المحتلة والتوسع في بناء المستوطنات اليهودية حفاظا على أداء فريضة "استيطان الارض".

الهدف من الدراسة

ونحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على السند الديني الذي دفع رجال الدين في إسرائيل للقول بأن "استيطان الاراضي الفلسطينية" فريضة دينية واجبة على كل يهودي؛ والتعرف على المكانة الدينية التي منحها الفقهاء اليهود في التلمود وكتب الفقه اليهودي للأراضي الفلسطينية؛ وكيف قاموا بدفع اليهود وحثهم على استيطان الأراضي الفلسطينية كونها فريضة دينية، كما نعرض من خلال دراستنا لأبرز الفتاوى الدينية الصادرة عن رجال الدين اليهودي في إسرائيل

للحفاظ على أداء فريضة استيطان الارض، ونوضح مدى انعكاس تلك الفتاوى على الممارسات الإسرائيلية في الاراضي المحتلة من سياسات بناء وتوسيع المستوطنات وسياسات التهجير القسري للفلسطينيين.

منهج الدراسة

وتحقيقا لهذا الهدف اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على السند الذي دفع رجال الدين اليهود المعاصرون القول بأن "استيطان الارض" فريضة دينية واجبة علىى كل يهودي. وكذلك عرض وتحليل الفتاوى الدينية الصادرة عنهم للحفاظ على تلك الفريضة؛ وأثر هذه الفتاوى على الممارسات الإسرائيلية في الاراضي المحتلة.

التمهيد

اطلق رجال الدين اليهودي المعاصرون على فريضة استيطان الأرض مصطلح "מצוות ישוב הארץ"؛ ويعتبر الحاخام تسفي يهودا كوك أحد أكبر رجال الدين اليهودي أول من أشار في مقال له نُشر بجريدة هتسوفيه في الثلاثون من شهر ابريل لعام 1952 إلى أن استيطان الارض فريضة دينية نصت عليها التوراة؛ واطلق عليها "מצוות ישוב ארץ ישראל" أي فريضة استيطان "أرض اسرائيل"[1]. والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا ماذا يقصد هؤلاء بـــ "ارض اسرائيل"؛ وما هي حدود تلك الارض كما حددها علماء التلمود؛ وهل بالفعل أشار علماء التلمود والفقهاء اليهود في العصر الوسيط إلى أن استيطان تلك الارض فريضة دينية نصت عليها التوراة أم أنها فريضة استحدثها رجال الدين اليهودي في العصر الحديث لخدمة اهدافهم التوسعية الاستيطانية.

اختلفت حدود "أرض إسرائيل" في اسفار التوراة؛ فلم ترسم لنا اسفار التوراة حدودا موحدة لهذه الأرض؛ فأحيانا يرسم سفر التكوين حدود تلك الارض من نهر النيل جنوبا إلى نهر الفرات شمالا؛ كما جاء في تكوين 18/15: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"[2]. بينما يرسم سفر الخروج حدود أخرى تمتد من البحر الأحمر جنوب شرق إلى البحر المتوسط غربا ومن الصحراء (شبه جزيرة سيناء أو شبه الجزيرة العربية) جنوبا وحتى نهر الفرات شمالا؛ كما جاء في سفر الخروج 31/23 : "وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلى النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ". بينما يذكر سفر التثنية حدودها الشرقية من الصحراء (شبه جزيرة سيناء أو شبه الجزيرة العربية) جنوبا وحتى نهر الفرات شمالا وتمتد إلى اقصى الغرب وصولا الى البحر المتوسط؛ كما جاء في سفر التثنية 24/11 : "كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ يَكُونُ تُخْمُكُمْ".

أما علماء التلمود في بابل فقدموا وصفا تفصيليا لـــحدود "أرض اسرائيل"؛ فجاء في باب الطلاق في التلمود البابلي:

דתניא איזהו ארץ ואיזהו חוצה לארץ כל ששופע ויורד מטורי אמנון ולפנים ארץ ישראל מטורי אמנון ולחוץ חוצה לארץ הנסין שבים רואין אותן כאילו חוט מתוח עליהם מטורי אמנון עד נחל מצרים מן החוט ולפנים א"י מן החוט ולחוץ חו"ל.[3] جاء في برايتا: ما هي حدود أرض اسرائيل وماذا خارج حدودها؟ جميع المنطقة المنحدرة من جبال أمنون ناحية الجنوب هو اتجاه أرض اسرائيل ومن جبال أمنون ناحية الشمال يعتبر خارج حدود اسرائيل؛ ومجموعة الجزر

الممتدة على طول البحر فهي تشبه خطا مشدودا من جبال أمنون (شمالا) وحتى نهر مصر (جنوبا)؛ وجميع المساحة الواقعة شرق هذا الخط هي أرض اسرائيل أما غرب هذا الخط فهي خارج حدود اسرائيل.

كما رسم علماء التلمود في فلسطين نفس الحدود التي رسمها علماء بابل؛ كما جاء في باب سنة التبوير في التلمود الاورشليمي:

תני אי זו היא הארץ ואי זו היא חוץ לארץ. כל־ששופע מטורוס אמנס ולפנים ארץ ישראל. מטורוס אמנס ולחוץ חוץ לארץ. הניסין שבים את רואה אותן כאילו חוט מתוח מטורי אמנה עד נחל מצרים. מהחוט ולפנים ארץ ישראל. מהחוט ולחוץ חוץ לארץ. רבי יודה אמר כל־שהוא כנגד ארץ ישראל הרי הוא כארץ ישראל שנאמר וגבול ים והיה לכם הים הגדול וגבול. שבצדדין מהן את רואה אותן כאילו חוט מתוח מקפלריא ועד אוקיינוס מחוט ולפנים ארץ ישראל. מהחוט ולחוץ חוץ לארץ[4]. جاء في برايتا: ما هي حدود أرض اسرائيل وماذا خارج حدودها؟ جميع المنطقة المنحدرة من جبال أمنون ناحية الجنوب هو اتجاه أرض اسرائيل ومن جبال أمنون ناحية الشمال يعتبر خارج حدود اسرائيل؛ ومجموعة الجزر الممتدة على طول البحر فهي تشبه خطا مشدودا من جبال أمنون (شمالا) وحتى نهر مصر (جنوبا)؛ وجميع المساحة الواقعة شرق هذا الخط هي أرض اسرائيل أما غرب هذا الخط فهي خارج حدود اسرائيل. قال راف يودا: كل ما هو مقابل لأرض اسرائيل مثل أرض اسرائيل استنادا الى ما جاء في عدد 6/34 "وَأَمَّا تُخْمُ الْغَرْبِ فَيَكُونُ الْبَحْرُ الْكَبِيرُ لَكُمْ تُخْمًا" وعلى كلا الجانبين كأنما ترى خطا مشدودا من جبال أمنون وحتى المحيط؛ ما هو داخل الخط هو داخل حدود اسرائيل وخارج الخط هو خارج حدود اسرائيل .

من خلال ما سبق يقدم لنا علماء التلمود عرضا تفصيليا للحدود الشمالية والجنوبية لـــ "ارض اسرائيل"؛ فيحدها شمالا טורי אמנון كما جاء في التلمود البابلي أو טורי אמנה كما جاء في التلمود الاورشليمي، واختلف الفقهاء اليهود حول تفسير جبال الأمنون؛ فهناك من يرى أنها جبال الأمانوس الواقعة في تركيا حسبما جاء في الترجوم الاورشليمي لسفر العدد[5]. بينما ابتعد البعض جنوبا حوالي 93 كم للتأكيد على أنها جبال الاقرع الواقعة على الحدود التركية السورية[6]. في حين أكد البعض أنها سلسلة جبلية تقع بالقرب من مدينة بانياس في سوريا[7]؛ والتي تبعد عن جبل الاقرع حوالي 109 كم. وأخيرا استقر بعض الفقهاء على أنها جبال البترون في لبنان[8]والتي تبعد حوالي 92 كم عن مدينة بانياس.

كما اشار علماء التلمود إلى الحدود الجنوبية لـــ "أرض اسرائيل" وهو נחל מצרים كما جاء في التلمودين البابلي والاورشليمي، واختلف الفقهاء أيضا حول تفسير " נחל מצרים نهر مصر"؛ فيرى أغلب الفقهاء اليهود أن نهر مصر يقصد به الامتداد الشرقي لدلتا النيل وتحديدا مدينة فارما بمحافظة بورسعيد[9]. بينما اختزل بعضهم تلك الحدود حوالي 176 كم؛ مؤكدين على أنه وادي وليس نهر النيل وتحديدا وادي العريش شمال محافظة سيناء[10].

وفي حين اشار علماء التلمود إلى الحدود الغربية التي تصل للبحر الابيض المتوسط بما فوقه من جذر على طول الخط الواصل بين الحدود الشمالية والحدود الجنوبية؛ فقد اغفل علماء التلمود الحدود الشرقية لـــ "أرض إسرائيل".

خريطة تقريبية
لحدود "أرض اسرائيل"
وفقا لما جاء في التلمود

ويرى رجال الدين اليهودي المعاصرون أن الحدود التي رسمها علماء التلمود لـــ"أرض إسرائيل" هي الحدود المقدسة التي يجب على اليهود الإقامة داخلها والتوسع في بناء المستوطنات اليهودية على أراضيها حفاظا على أداء فريضة "استيطان الارض". فقد صرح رجال الدين اليهودي المعاصرون في إسرائيل بأن "استيطان الأرض" فريضة دينية واجبة على كل يهودي؛ استنادا إلى ما لمح إليه علماء المشنا بأن استيطان الارض هي فريضة من اعظم فرائض التوراة؛ فجاء في تفسير علماء المشنا لسفر التثنية:

מעשה ברבי יהודה בן בתירה ורבי מתיה בן חרש ורבי חנניה בן אחי רבי יהושע ורבי יונתן שהיו יוצאים חוצה לארץ והגיעו לפלטום וזכרו את ארץ ישראל זקפו עיניהם וזלגו דמעותיהם וקרעו בגדיהם וקראו את המקרא הזה (שם יא לא) וירשתם אותה וישבתם בה ושמרתם לעשות את כל החקים האלה אמרו ישיבת ארץ ישראל שקולה כנגד כל המצות שבתורה[11]. حدث أن الربي يهودا بن بتيرا[12] والربي متيا بن حاراش[13] والربي حننيا ابن اخو الربي يهوشع[14] والربي يوناتان[15] كانوا يرحلون عن ارض فلسطين ووصلوا إلى بلطوم؛ فتذكروا فلسطين ورفعوا أعينهم وزرفوا الدموع وشقوا ملابسهم وقرأوا ما ورد سفر التثنية 11/ 31 "وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكُمْ يُعْطِيكُمْ. تَمْتَلِكُونَهَا

وَتَسْكُنُونَهَا فَاحْفَظُوا جَمِيعَ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ لِتَعْمَلُوهَا"؛ وقالوا: "استيطان ارض فلسطين في مقابل جميع الفرائض"(عادوا ورجعوا الى فلسطين) .

يروي لنا علماء المشنا في النص السابق أن أربعة من علمائهم وهم الربي يهودا بن بتيرا والربي متيا بن حاراش والربي حننيا ابن اخو الربي يهوشع والربي يوناتان بن يوسف تركوا الاراضي الفلسطينية في زمن الملك الروماني هادريان (76م–138م) بسبب الاضطهاد الروماني لليهود في عصره؛ وبعد خروجهم نظروا تجاه فلسطين وانهمروا بالبكاء قائلين: "استيطان الارض في كفة وجميع فرائض التوراة في كفة أخرى"؛ في اشارة منهم أن استيطان الارض فريضة تساوي جميع فرائض التوراة. وسرعان ما تحولت الرواية إلى فتوى دينية وردت في ملحقات المشنا لباب العبادات الاجنبية:

ישרה אדם בארץ ישראל אפילו בעיר שרובה עובדי כוכבים ולא בחו"ל אפי' בעיר שכולה ישראל מלמד שישיבת ארץ ישראל שקולה כנגד כל מצות שבתורה[16]. يجب على اليهودي الإقامة على ارض فلسطين في مدينة يسكنها عبدة الاوثان من الإقامة خارجها في مدينة يسكنها اليهود وهذا يشير إلى أن استيطان الارض في مقابل جميع فرائض الشريعة.

فقد استند رجال الدين اليهود المعاصرون هنا إلى ما ذهب إليه علماء المشنا بأن استيطان الاراضي الفلسطينية فريضة من فرائض التوراة واجبة على كل يهودي؛ وما تردد على لسان بعض الفقهاء اليهود في العصر الوسيط؛ فيقول موشيه سوفير[17]:

נלע"ד רבי ישמעאל נמי לא אמר מקרא ואספת דגנך אלא בא"י ורוב ישראל שרויין שהעבודה בקרקע גופה מצוה משום יישוב א"י ולהוציא פירותי' הקדושי' ועל זה ציותה התורה ואספת דגנך ובועז זורה גורן השעורי' הלילה משום מצוה[18]. ومن وجهة نظري المتواضعة الربي يشمعائيل ايضا قام بتطبيق ما جاء في تثنية 14/11 "فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ" على أرض فلسطين؛ حيث استقر أغلب بني إسرائيل هناك؛ لأن فلاحة أرض فلسطين في حد ذاتها فريضة لاستيطان الأرض وحصاد ثمارها المقدسة؛ ولذلك اوصت التوراة بما جاء في تثنية 14/11 "فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ". كما فعل بوعز في راعوث 2/3 "هَا هُوَ يُذَرِّي بَيْدَرَ الشَّعِيرِ اللَّيْلَةَ" بسبب فريضة استيطان الارض.

فيؤكد الفقهاء اليهود في العصر الوسيط من خلال النص السابق على أن زراعة ارض فلسطين وحصاد غلالها وثمارها فرائض يجب على اليهودي العمل بها حفاظا على فريضة استيطان الأرض יישוב ארץ ישראל. فهنا اطلق الفقهاء اليهود في العصر الوسيط على هذه الفريضة مصطلح יִשּׁוּב ארץ ישראל من المضعف יָשַׁב بمعنى أقام مستوطنة بشكل دائم في منطقة خالية، وفي حين اطلق علماء المشنا على هذه الفريضة יְשִׁיבַת ארץ ישראל وهو اسم مشتق من المجرد יָשַׁב بمعنى اقام – سكن. وبالتالي تحول مفهوم الفريضة من مجرد الإقامة داخل الاراضي الفلسطينية عند علماء المشنا إلى إقامة دائمة بذريعة الإعمار وإرساء السيطرة وهو ما يعرف بـــ"استيطان الأرض".

ونحاول من خلال المبحثين القادمين رصد هذا التحول في مفهوم فريضة استيطان الاراضي الفلسطينية؛ من مجرد الإقامة عليها عند علماء المشنا والتلمود لما تحظى به مكانة دينية عندهم، إلى أن اضحت فريضة استيطان عند رجال الدين اليهود المعاصرون يصدرون من خلالها فتاوى بناء وتوسيع المستوطنات وتهجير قسري للفلسطينيين.

المبحث الأول: فريضة استيطان ارض فلسطين في التلمود

لجأ علماء التلمود إلى عدة طرق تشجع اليهود على الإقامة على أرض فلسطين من خلال إبراز المكانة الدينية لها؛ والتي تمثلت في :

أولا: الربط بين الإقامة على أرض فلسطين وضمان البعث بعد الموت والحياة في العالم الآخر. ثانيا الربط بين الإقامة على أرض فلسطين وتطبيق العبادات الدينية اليهودية نحو إقامة الصلاة أو إخراج زكاة الزروع والثمار أو دراسة الشريعة أو أحكام السبت. ثالثا: تحريم الخروج من ارض فلسطين حفاظا على تأدية فريضة استيطان الأرض؛ وذلك على النحو التالي:

أولا: فريضة استيطان الارض وبعث الموتى والحياة في العالم القادم

ربط علماء التلمود بين الإقامة على أرض فلسطين وبين بعث الموتى من القبور؛ واشاروا في مواضع عدة في التلمود أن كل من يُدفن خارج أرض فلسطين لن يبعث؛ فورد في باب عقود الزواج:

אמר רבי אלעזר: מתים שבחוץ לארץ אינם חיים, שנאמר: "ונתתי צבי בארץ חיים" — ארץ שצביוני בה מתיה חיים, שאין צביוני בה — אין מתיה חיים[19]. قال الربي إليعزر: لن يُبعث الأموات خارج أرض فلسطين؛ استنادا لما ورد في حزقيال 20/26 "وأجعل فخرًا في أرض الأحياء" وهذا يعنى أن أموات الأرض التي أشتهيها سوف يبعثون، أما أموات الأرض التي لا أشتهيها، فلن يبعثون .

كما يتضح من إحدى الروايات أن من يموت خارج فلسطين لن يُبعث حتى وإن دُفن داخلها، فورد في نفس السياق :

עולא הוה רגיל דהוה סליק לארץ ישראל נח נפשיה בחוץ לארץ אתו אמרו ליה לרבי אלעזר אמר אנת עולא (עמוס ז) על אדמה טמאה תמות אמרו לו ארונו בא אמר להם אינו דומה קולטתו מחיים לקולטתו לאחר מיתה[20]. اعتاد عولا على الذهاب إلى فلسطين ولكنه مات خارجها؛ فجاءوا الى إلربي إليعزر وقالوا له: (مات عولا) فقال "الويل لك ياعولا" لأنه جاء في عاموس 17/7 "وَأَنْتَ تَمُوتُ فِي أَرْضٍ نَجِسَةٍ"، فقالوا له "ولكن نعشه جاء (ليُدفن في فلسطين)"، فقال لهم لايستوي من استوعبته الأرض وهو على قيد الحياة بمن تستوعبه الأرض عند موته.

فالربي إليعزر الذي يعد من كبار علماء المشنا يرى أن الموتى خارج فلسطين لن يبعثوا من قبورهم، حتى وإن كان هؤلاء الموتى من علماء الشريعة أمثال "عولا"، ولكن لم يَقبَل بعض علماء التلمود بهذا الرأي، وقالوا : إن الموتى خارج فلسطين سوف يتدحرجون عبر الأنفاق للوصول إلى فلسطين، ومن ثم سوف يبعثون من قبورهم؛ فورد في مناقشات التلمود في باب عقود الزواج:

אמר רבי ירמיה בר אבא אמר רבי יוחנן: כל המהלך ארבע אמות בארץ ישראל מובטח לו שהוא בן העולם הבא. ולרבי אלעזר، צדיקים שבחוץ לארץ אינם חיים؟! אמר רבי אילעא: על ידי גלגול. מתקיף לה רבי אבא סלא רבא: גלגול לצדיקים צער הוא! אמר אביי: מחילות נעשות להם בקרקע.[21] روى الربي يرميا بر أبا[22] عن الربي يوحنان قوله : إن كل من يسير أربعه أذْرُعٍ في أرض اسرائيل فسوف يكون له نصيب في العالم الآتي، إذا وَفقًا لأقوال الربي إليعزر (بأن الأموات خارج فلسطين لن يبعثوا) فإن الأتقياء (إذا ماتوا) خارج فلسطين لن يُبعثوا ، فقال الربي إلعاي[23]: (إنهم سوف يبعثون) وسوف تُدَحْرَجُ جثثهم (عبر الأنفاق إلي فلسطين) ، فعارضه الربي أبا بشده قائلا: ألا يعتبر التدحرج أمرًا مؤلما للأتقياء؟! فقال له أبّي: إن الأنفاق سوف تقام من أجلهم في الأرض.

فيتضح أن علماء التلمود يؤكدون على ضرورة دفن موتاهم داخل الاراضي الفلسطينية ضمانا لبعثهم من القبور؛ كما يؤكدون على القداسة التي تتمتع بها المدافن في فلسطين؛ فاشاروا إلى أن كل من يُدفن في فلسطين كأنما يدفن تحت مذبح الهيكل؛ كما جاء في نفس السياق:

אמר רב ענן כל הקבור בארץ ישראל כאילו קבור תחת המזבח כתיב הכא (שמות כ) מזבח אדמה תעשה לי וכתיב התם (דברים לב) וכפר אדמתו עמו[24]. قال راف عنان: كل من يدفن في فلسطين كأنما دُفن تحت المذبح. حيث ورد في خروج 20/ 21 "مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ אדמה تَصْنَعُ لِي" وجاء في موضع آخر في تثنية 32/ 43 "(تَهَلِّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ، شَعْبُهُ، لأَنَّهُ يَنْتَقِمُ بِدَمِ عَبِيدِهِ، وَيَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِهِ)، وَيَصْفَحُ عَنْ أَرْضِهِ אדמתו عَنْ شَعْبِهِ".

في حين اعترض بعض علماء التلمود على هذا الرأي مؤكدين على أن الحياة في العالم القادم لا تشترط الإقامة في فلسطين أو الدفن على أرضها؛ إنما يحتاج المرء أن يسير على أرضها مقدار أربعة أذرع لكي يحيا في العالم القادم؛ كما جاء في نفس السياق:

ורוח להולכים בה א"ר ירמיה בר אבא א"ר יוחנן כל המהלך ארבע אמות בארץ ישראל מובטח לו שהוא בן העולם הבא.[25] جاء في اشعيا 42/ 5" وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا" قال الربي يرميا بر أبا نقلا عن الربي يوحنان: كل من يسير على أرض فلسطين مقدار أربعة أذرع فسوف يحيا في العالم القادم.

ويذكر لنا علماء التلمود في نفس السياق الأسباب التي دفعتهم للقول بأن البعث بعد الموت والحياة في العالم القادم جميعها امور مرتبطة بالإقامة على الأراضي الفلسطينية وذلك لسببين من وجهة نظرهم:

السبب الاول وجود الرب بجانب اليهودي الذي يقيم على الأراضي الفلسطينية أما اليهودي الذي يقيم خارج الاراضي الفلسطينية فلن يكون له إله؛ كما جاء في باب عقود الزواج:

ת"ר לעולם ידור אדם בא"י אפי' בעיר שרובה >עובדי כוכבים} <גוים} ואל ידור בחו"ל ואפילו בעיר שרובה ישראל שכל הדר בארץ ישראל דומה כמי שיש לו אלוה וכל הדר בחוצה לארץ דומה כמי שאין לו אלוה שנא' (ויקרא כה) לתת לכם את ארץ כנען להיות לכם לאלהים.[26] (فيما يتعلق بمسألة الإقامة في فلسطين) شرع العلماء: أفضل للمرء

الإقامة على أرض فلسطين في مدينة يسكنها الأغيار من الإقامة خارجها في مدينة يسكنها اليهود. فمن يقيم في فلسطين يعتبر له إلهًا ومن يقيم خارجها ليس له إلهًا استنادا الى ما جاء في لاويين 38/25 "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا".

فيؤكد علماء التلمود هنا أن تحقق ما جاء في سفر اللاويين 12/26 "واسير بينكم وأكون لكم إلها وانتم تكونون لي شعبا" مرتبط بالإقامة على الأراضي الفلسطينية؛ فوجود الإله بجانب كل يهودي مشروط بالإقامة في فلسطين وبالتالي ضمان البعث بعد الموت والحياة في العالم القادم.

أما السبب الثاني الذي ذكره علماء التلمود ويضمن لليهودي البعث بعد الموت والحياة في العالم القادم عندما يقيم على أرض فلسطين هو ضمان اليهودي لعدم حمل الآثام طالما يقيم على الأراضي الفلسطينية وبالتالي يضمن الحياة في العالم القادم:

אמר רבי אלעזר כל הדר בארץ ישראל שרוי בלא עון שנאמר (ישעיהו לג) ובל יאמר שכן חליתי העם היושב בה נשוא עון א"ל רבא לרב אשי אנן בסובלי חלאים מתנינן לה[27] قال الربي اليعزر: كل من يسكن أراض فلسطين فلا يحمل اثما استنادا الى ما جاء في اشعيا 24/33 "وَلاَ يَقُولُ سَاكِنٌ: «أَنَا مَرِضْتُ». الشَّعْبُ السَّاكِنُ فِيهَا مَغْفُورُ الإِثْمِ"؛ فقال رابا الى راف اشي: شرعنا ذلك لمن يعاني من المرض. (من يشعر بالمرض "الاثم" ويتعافى "ويغفر له").

ثانيا: فريضة استيطان الأرض والأحكام الدينية اليهودية

ارتبطت ممارسة العديد من الطقوس والشعائر الدينية اليهودية بالإقامة على الاراضي الفلسطينية؛ وهو ما يؤكد عليه علماء التلمود من خلال ذكر السبب وراء رغبة نبي الله موسى دخول أرض فلسطين وهو ممارسة الطقوس والشعائر الدينية اليهودية، فجاء في باب الجانحة:

דרש רבי שמלאי מפני מה נתאוה משה רבינו ליכנס לא"י וכי לאכול מפריה הוא צריך או לשבוע מטובה הוא צריך אלא כך אמר משה הרבה מצות נצטוו ישראל ואין מתקיימין אלא בא"י אכנס אני לארץ כדי שיתקיימו כולן על ידי.[28] فسر الربي سملاي: لماذا كان يرغب موسى دخول أرض فلسطين؟ هل ليأكل من ثمارها؟ أم ليشبع من طيبها؟ ولكن كذلك قال موسى: فرضت الأحكام على بني إسرائيل ولن تُمارس إلا داخل أرض فلسطين؛ فسأدخل الأرض لكي أمارسها جميعا.

فهنا يؤكد علماء التلمود على أن موسى يرغب في دخول فلسطين من اجل تطبيق الأحكام وممارسة الشعائر الدينية التي لا يمكن أن يمارسها إلا داخل الاراضي الفلسطينية، وبالتالي خَصَّص علماء المشنا مجموعة من الأحكام الدينية التي لا تطبق إلا على الأراضي الفلسطينية، ولا يجوز لمن هو خارج الأراضي الفلسطينية أن يطبق هذه الأحكام أطلقوا عليها "מצוות התלויות בארץ" أي الأحكام المرتيطة بأرض فلسطين"، وهي احكام الزكاة والصدقات التي يجب على اليهودي إخراجها من المحاصيل الزراعية من زكاة، فجاء في باب النكاح:

כל מצוה שהיא תלויה בארץ אינה נוהגת אלא בארץ ושאינה תלויה בארץ נוהגת בין בארץ בין בחוצה לארץ[29]
جميع الفرائض المتعلقة بالأرض لا تطبق إلا في فلسطين، والفرائض غير المرتبطة بالارض تطبق في فلسطين وخارجها

ويفرق علماء التلمود في مناقشاتهم لهذا التشريع بين نوعين من العبادات، عبادات تتعلق بما يجب على المرء اخراجه من المحاصيل الزراعية وأطلقوا عليها "חובת קרקע" أي العبادات المرتبطة بالأرض نحو العشور، وأكدوا على أنها تطبق في فلسطين ولا تطبق خارجها، وعبادات أخرى بدنية أطلقوا عليها "חובת הגוף" أي عبادات البدن نحو الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات التي أكدوا على أنها غير مرتبطة بالمكان وتطبق سواء في فلسطين أو خارجها، فجاء في باب النكاح

אמר רב יהודה ה"ק כל מצוה שהיא חובת הגוף נוהגת בין בארץ בין בח"ל חובת קרקע אינה נוהגת אלא בארץ[30]
يقول الربي يهودا: جميع العبادات البدنية تطبق في فلسطين وخارجها؛ وجميع العبادات المرتبطة بـــ(زراعة) الارض لا تطبق إلا في فلسطين

كما ربط علماء التلمود بين تلاوة الصلوات وبين أرض فلسطين؛ فيجب على اليهودي عندما يتلو ادعية الصلوات الثلاثة اليومية وهو خارج أرض فلسطين أن يوجه قبلته إلى أرض فلسطين؛ فجاء في باب الادعية:

יה עומד בח"ל יכוין את לבו כנגד ארץ ישראל שנא' (מלכים א ח) והתפללו אליך דרך ארצם היה עומד בארץ ישראל יכוין את לבו כנגד ירושלים שנאמר (מלכים א ח) והתפללו אל ה' דרך העיר אשר בחרת היה עומד בירושלים יכוין את לבו כנגד בית המקדש שנאמר (דברי הימים ב ו) והתפללו אל הבית הזה היה עומד בבית המקדש יכוין את לבו כנגד בית קדשי הקדשים שנאמר (מלכים א ח) והתפללו אל המקום הזה[31]. من يقف في صلاته خارج فلسطين عليه أن يوجه قبلته إلى فلسطين استنادا إلى ما جاء في ملوك أول 48/8 "وَصَلَّوْا إِلَيْكَ نَحْوَ أَرْضِهِم". ومن يقف في فلسطين عليه أن يوجه قبلته اتجاه القدس استنادا إلى ما جاء في ملوك أول 44/8 "وَصَلَّوْا إِلَى الرَّبِّ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا". ومن يقف في القدس عليه أن يوجه قبلته نحو الهيكل استنادا إلى ما جاء في اخبار أيام ثاني 32/6 "وَصَلَّوْا فِي هذا الْبَيْتِ". ومن يقف في الهيكل عليه أن يوجه قبلته نحو قدس الاقداس استنادا إلى ما جاء في ملوك أول 35/8 "ثُمَّ صَلَّوْا فِي هذا الْمَوْضِعِ".

كما يرى علماء التلمود أن تلاوة الصلاة ودراسة الشريعة اليهودية في المستقبل لن تحدث إلا على الأراضي الفلسطينية، وذلك لأن المعابد والمدارس الدينية ستنتقل في المستقبل إلى أرض فلسطين؛ كما جاء في باب اللفائف:

תניא ר"א הקפר אומר עתידין בתי כנסיות ובתי מדרשות שבבבל שיקבעו בא"י שנאמר (ירמיהו מו) כי כתבור בהרים וככרמל בים יבא והלא דברים ק"ו ומה תבור וכרמל שלא באו אלא לפי שעה ללמוד תורה נקבעים בארץ ישראל בתי כנסיות ובתי מדרשות שקורין ומרביצין בהן תורה עאכ"ו[32].جاء في برايتا: يقول الربي إليعزر هكبار: في المستقبل سوف يتم (نقل) وإعادة تأسيس المعابد والمدارس الدينية من بابل إلى أرض فلسطين؛ استنادا إلى ما جاء في

ارميا 46/ 18 "كَتَابُورِ بَيْنَ الْجِبَالِ، وَكَكَرْمَلِ عِنْدَ الْبَحْرِ يَأْتِي" ألا نستدل على ذلك من خلال معيار الأولى؟! فبما أن جبال تابور والكرمل نُقلوا إلى فلسطين نظرا لدراسة الشريعة فوقهما (بشكل مؤقت) فمن الأولى أن تنقل المعابد والمدارس الدينية التي تقرأ فيها الشريعة وتنشر بشكل دائم إلى فلسطين.

كما ذهب علماء التلمود إلى أبعد من ذلك؛ فأجازوا التعدي على محرمات السبت في سبيل إقامة فريضة استيطان الارض؛ فجاء في التلمود في باب الباب الاول:

והלוקח בית בארץ ישראל כותבין עליו אונו אפילו בשבת. בשבת סלקא דעתך אלא כדאמר רבא התם: אומר לגוי ועושה; הכי נמי, אומר לגוי ועושה. ואף על גב דאמירה לגוי שבות היא، משום ישוב ארץ ישראל לא גזרו ביה רבנן[33]. ومن يشتري بيتا في فلسطين يوم يكتب عقد البيع حتى ولو يوم السبت. وإذا تبادر إلى ذهنك أنه لا يمكن ان يكتب العقد يوم السبت؟! فقال رابا في موضع آخر: من يقول لغير اليهودي "افعل ذلك الأمر" (وفعله يوم السبت) كذلك الأمر هنا من يقول لغير اليهودي "اكتب عقدا" (وكتبه فهو مباح). بالرغم من أن اصدار الامر لغير اليهودي يعد تعدي على أحكام السبت إلا أن الفقهاء اليهود لم يفرضوا هذا التحريم من اجل فريضة استيطان الارض.

فأجاز علماء التلمود القيام بواحدة من الاعمال المحرمة يوم السبت في سبيل تحقيق فريضة استيطان الارض، فالكتابة من الأعمال التسعة والثلاثين المحرم القيام بها يوم السبت وما يترتب عليها من كتابة عقود البيع والشراء والهبة وغيرها من العقود. غير أن علماء التلمود أجازوا كتابة عقد شراء بيت غير اليهودي لليهودي داخل فلسطين وذلك حفاظا على إقامة فريضة استيطان الارض. كما اكد علماء التلمود على ذلك في باب الطلاق:

בשבת סלקא דעתך?! כדאמר רבא: אומר לגוי ועושה; הכא נמי אומר לגוי ועושה. ואף על גב דאמירה לגוי שבות، משום ישוב ארץ ישראל – לא גזור רבנן[34].اذا تبادر الى ذهنك أنه يمكن للمرء كتابة عقد بيع يوم السبت؛ (فيحرم ذلك) حيث قال رابا: إذا قال اليهودي لغير اليهودي افعل ذلك (نيابة عني) فكأنما قام هو نفسه بكتابة العقد؛ وعلى الرغم من ان اصدار امر لغير اليهودي يوم السبت يعد تعدي على محرمات السبت إلا أن العلماء لم يفرضوا ذلك في حال (كتابة عقد البيع) من اجل فريضة استيطان الارض.

وهو ما أكد عليه الفقهاء اليهود في العصر الوسيط في كتاب المائدة المصفوفة:

מותר לקנות בית בא"י מן העכו"ם בשבת וחותם ומעלה בערכאות[35] . يجوز شراء بيت في فلسطين من غير اليهود أيام السبت وكذلك يجوز التوقيع والذهاب إلى محاكم غير اليهود.

ثالثا: فريضة استيطان الارض وتحريم الخروج من فلسطين

شجع علماء التلمود اليهود المقيمين خارج فلسطين على الهجرة إليها وحرموا عليهم الخروج منها؛ وذلك في عدة مواضع في التلمود؛ فجاء في باب عقود الزواج:

הכל מעלין לארץ ישראל ואין הכל מוציאין הכל מעלין לירושלים ואין הכל מוציאין אחד האנשים ואחד הנשים[36].قد يتمكن المرء من تهجير (أفراد عائلته) إلى أرض فلسطين لكن لا يستطيع إخراجهم منها. وقد يتمكن المرء

من تسكينهم في القدس ولكن لا يستطيع إخراجهم منها. وسواء الزوج أو الزوجة (يستطيعون تهجير بعضهم إلى أرض فلسطين أو القدس).

فلا يجوز لليهودي إخراج افراد اسرته من الاراضي الفلسطينية؛ كما جاء في نفس السياق أنه يحرم على السيد إرغام عبده على الخروج من الاراضي الفلسطينية:

"ואין הכל מוציאין" לאתויי מאי? לאתויי עבד שברח מחוצה לארץ לארץ, דאמרינן ליה: זבניה הכא וזיל، משום ישיבת ארץ ישראל[37]. لا يمكن للمرء إخراجهم من (فلسطين). ومن يشملهم الحكم (السابق)؟ العبد الذي يفر هربا من سيده من خارج فلسطين إلى فلسطين، فيقولون لسيده "عليك ببيع (عبدك) هنا (في فلسطين) وتذهب" (وامضي إلى حيث جئت ولا تأخذه معك إلى الخارج) بسبب فريضة استيطان الأرض.

وفي الوقت الذي افتى فيه علماء التلمود في بابل بتحريم الخروج من فلسطين إلا انهم اصدروا فتوى تبيح لهم التواجد في بابل وعدم الهجرة إلى فلسطين؛ فكما حرموا الخروج من فلسطين إلى أي ارض أخرى كذلك حرموا الخروج من بابل إلى أي بلد أخرى:

אמר רב יהודה אמר שמואל כשם שאסור לצאת מארץ ישראל לבבל כך אסור לצאת מבבל לשאר ארצות רבה ורב יוסף דאמרי תרוייהו אפילו מפומבדיתא לבי כובי ההוא דנפק מפומבדיתא לבי כובי שמתיה רב יוסף ההוא דנפק מפומבדיתא לאסתוניא שכיב[38]. قال راف يهودا نقلا عن شموئيل: كما يُحرم الخروج من فلسطين إلى بابل كذلك يُحرم الخروج من بابل إلى سائر البلدان. فقالا رابا وراف يوسف: حتى وإن انتقل من مدينة بومباديثا (في بابل) الى بيكوبي (خارج حدود بابل يعد محرما). فهناك شخص خرج من بومباديثا الى بيكوبي فطرده راف يوسف، وشخص آخر خرج من بومباديثا الى أستونيا (خارج حدود بابل) فمات.

وعندما ذهب أحد علماء التلمود في نفس السياق إلى إصدار فتوى تُحرم الخروج من بابل إلى فلسطين؛ واجه معارضة من بعض العلماء الذين كانوا يترددون على ارض فلسطين:

רבי זירא הוה קמשתמיט מיניה דרב יהודה דבעא למיסק לארץ ישראל, דאמר רב יהודה: כל העולה מבבל לארץ ישראל עובר בעשה, שנאמר: "בבלה יובאו ושמה יהיו עד יום פקדי אותם נאם ה'". ורבי זירא — ההוא בכלי שרת כתיב[39]. كان الربي زيرا يتهرب من لقاء الربي يهودا لأنه أراد الذهاب إلى فلسطين، بالرغم من أن الربي يهودا قال: "من يذهب من بابل إلى فلسطين يتعدى على أوامر الرب" استنادا إلى ما جاء في ارميا 27/ 22 "يُؤْتَى بِهَا إِلَى بَابِلَ، وَتَكُونُ هُنَاكَ إِلَى يَوْمِ اقْتِقَادِي إِيَّاهَا، يَقُولُ الرَّبُّ". فعارض الربي زيرا ذلك ويرى أن الأمر هنا متعلق بآنية الخدمة (التي كانت تستخدم لتقديم القرابين داخل الهيكل حيث ورد في الموضع السابق: "إِنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الآنِيَةِ الْبَاقِيَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ مَلِكِ يَهُوذَا وَفِي أُورُشَلِيمَ: يُؤْتَى بِهَا إِلَى بَابِلَ، وَتَكُونُ هُنَاكَ إِلَى يَوْمِ اقْتِقَادِي إِيَّاهَا، يَقُولُ الرَّبُّ، فَأُصْعِدُهَا وَأَرُدُّهَا إِلَى هذَا الْمَوْضِعِ)

كما تعددت روايات علماء التلمود التي تؤكد على تحريم الخروج من فلسطين إلى أي بلد أخرى، فجاء في باب النكاح:

רב אסי הוה ליה ההיא אמא זקינה אמרה לי' בעינא תכשיטין עבד לה בעינא גברא נייעין לך בעינא גברא דשפיר כותך שבקה ואזל לארעא דישראל שמע דקא אזלה אבתריה אתא לקמיה דרבי יוחנן אמר לי' מהו לצאת מארץ לחוצה לארץ א"ל אסור[40]. كان للربي آسي أم مسنة؛ فقالت له: "أريد مجوهرات". فصنع لها مجوهرات. ثم قالت له: "أريد رجلا (اتزوج منه)". فقال لها: "سأبحث لك عنه". فقالت له "أريد زوجا وسيم مثلك". فتركها (هربا منها) وذهب إلى فلسطين. وعندما سمع راف اسي انها لحقت به. فجاء إلى ربي يوحنان وقال له: ما حكم الشرع عند الخروج من فلسطين؟ فقال له "محرم".

المبحث الثاني: الفتاوى الدينية المعاصرة المتعلقة بفريضة استيطان الارض واثرها على الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة

ارتبطت بفريضة استيطان الأرض عدد من الفتاوى الصادرة عن رجال الدين اليهود المعاصرين؛ نحو فتاوى تشجع على بناء المستوطنات على أراضي الضفة وغلاف غزة، وأخرى تدفع الإسرائيليين لاستصلاح الأراضي الصحراوية في النقب ووادي عربة، وفتاوى تحرم النزوح الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية، وفتاوى تحث الجنود في الجيش الإسرائيلي على قتال الفلسطينيين في المناطق المحتلة. ونعرض في هذا المبحث تلك الفتاوى التي ارتبطت بفريضة استيطان الأرض مع بيان السند الذي استند إليه رجال الدين اليهودي في اصدارها؛ واثرها على ما تقوم به الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة من اجراءات تخدم المشروع الاستيطاني؛ وما يقوم به الجيش الإسرائيلي من عمليات عسكرية ضد الفلسطينيين:

تشجيع بناء المستوطنات على الاراضي الفلسطينية

لم يقتصر النشاط الإستيطاني الإسرائيلي على الحكومات الإسرائيلية فحسب بل لعب رجال الدين اليهودي في إسرائيل دورا كبيرا في هذا المجال؛ من خلال اصدارهم عدد من الفتاوى التي تشجع اليهود على الإقامة داخل مستوطنات الضفة الغربية؛ فيرى هؤلاء أنها منطقة صراع دائم مع الفلسطينيين؛ يعاني داخلها اليهودي من هذا الصراع؛ كما يعرض حياته فيها للخطر؛ فيرى رجال الدين أن الإقامة داخلها واجب ديني على كل يهودي تحقيقا لفريضة استيطان الارض؛ واستند رجال الدين اليهودي في فتواهم على ما جاء في التلمود:

תניא רבי שמעון בן יוחאי אומר שלש מתנות טובות נתן הקדוש ברוך הוא לישראל וכולן לא נתנן אלא ע"י יסורין אלו הן תורה וארץ ישראל והעולם הבא.[41] جاء في برايتا: يقول الربي شمعون بن يوحاي[42]: منح الرب بني اسرائيل ثلاث عطايا؛ وجميعها ولدت من رحم المعاناة ألا وهي الشريعة وأرض فلسطين والعالم القادم.

فهنا يؤكد الربي شمعون بن يوحاي أنه يجب على اليهودي أن يشعر بالمعاناة حتى يحصل على المنح الثلاث التي منحها الرب له، فعليه أن يعاني في سبيل إقامة تشريعات التوراة؛ وعليه أن يعاني ليقيم على أراض فلسطين؛ وعليه أن يعاني ليحظى بالحياة في العالم القادم. وبالتالي ذهب رجال الدين اليهودي إلى أن الإقامة على الاراضي الفلسطينية

تستوجب المعاناة تحقيقا لفريضة استيطان الارض؛ ولن تتحقق تلك المعاناة إلا من خلال الإقامة داخل المستوطنات التي تقوم الحكومة الإسرائيلية ببنائها على الأراضي الفلسطينية المحتلة.

فيرى رجال الدين اليهودي في فتواهم أن الإقامة على أراضي الضفة الغربية فريضة دينية ثوابها أعظم من الإقامة على سائر الاراضي الفلسطينية؛ كونها مناطق صراع ملتهبة بين الفلسطيني والإسرائيلي. واستندوا في فتواهم على فتوى اصدرها علماء التلمود في باب عقود الزواج:

ת"ר לעולם ידור אדם בא"י אפי' בעיר שרובה >עובדי כוכבים} <גוים} ואל ידור בחו"ל ואפילו בעיר שרובה ישראל.[43] (فيما يتعلق بمسألة الإقامة في فلسطين) شرع العلماء: أفضل للمرء الإقامة على أرض فلسطين في مدينة يسكنها الأغيار من الإقامة خارجها في مدينة يسكنها اليهود.

فيرى علماء التلمود أن الإقامة في مدينة يسكنها غير اليهود لها أجر عظيم من الإقامة في مدينة يسكنها اليهود؛ وبالتالي ذهب رجال الدين في اسرائيل للقول بأن الإقامة في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ثوابها أعظم من الإقامة على الأراضي التي يسكنها اليهود.

ولم يدعُ رجال الدين اليهودي إلى التوسع الاستيطاني في أراضي الضفة الغربية فقط ولكن في الأراضي الفلسطينية بأكملها؛ استنادا إلى ما جاء في سفر التكوين 28/ 13-14: "الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ פרץ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا"؛ فالفعل פרץ يحمل دلالة التغلغل والتوسع والانتشار؛ إشارة إلى التوسع الاستيطاني على الأراضي الفلسطينية بأكملها؛ فيرى رجال الدين اليهودي أن التوسع الاستيطاني فريضة واجبة على كل يهودي وأن علماء التلمود اكدوا على هذا المعنى؛ فجاء:

אמר רבי שמואל בר נחמני אמר רבי יונתן: הלוקח עיר בארץ ישראל, כופין אותו ליקח לה דרך מארבע רוחותיה, משום ישוב ארץ ישראל[44]. قال الربي شموئيل بر نحماني نقلا عن الربي يوناتان: من يشتري مدينة في ارض فلسطين؛ يُفرض عليه امتلاك الطرق التي تؤدي للمدينة من الجهات الأربع تحقيقا لفريضة استيطان الارض (بحيث تكون المدينة مفتوحة من جميع الاتجاهات).

فيرى رجال الدين اليهودي ان هدف علماء التلمود من النص السابق هو التأكيد على فكرة التوسع الاستيطاني من خلال امتلاك الأرض وما حولها من أراض.

حيث يرى أكبر رجال الدين اليهودي راف افراهام كوك أن إقامة المسلمون على الاراضي الفلسطينية يعد سلبا لها فيقول: "ارضنا المسلوبة نريدها كاملة غير منقوصة ... إنها ارضنا المقدسة"، ويؤكد على أن ما يقوم به الصندوق القومي اليهودي "קרן קימת לישראל" من شراء للاراضي الفلسطينية لا يجوز؛ إنما يجب استرداد ارضنا المسلوبة بالقوة وليس عن طريق شرائها[45]. الأمر الذي دفع رجال الدين اليهودي اصدار فتوى بوجوب طرد غير اليهودي من الأراضي الفلسطينية تحقيقا لفريضة استيطان الارض واستندوا في فتواهم على ما جاء في التلمود:

בשבת סלקא דעתך?! כדאמר רבא: אומר לגוי ועושה; הכא נמי אומר לגוי ועושה. ואף על גב דאמירה לגוי שבות، משום ישוב ארץ ישראל – לא גזור רבנן[46]. إذا تبادر الى ذهنك أنه يمكن للمرء كتابة عقد بيع يوم السبت؛ (فيُحرم ذلك) حيث قال رابا: إذا قال اليهودي لغير اليهودي افعل ذلك (نيابة عني) فكأنما قام هو نفسه بكتابة العقد؛ ورغم أن اصدار أمر من يهودي لغير اليهودي يوم السبت من محرمات السبت إلا أن العلماء أجازوا (كتابة عقد بيع الاراضي) من اجل فريضة استيطان الارض.

فيفسر الربي شلومو يتسحاقي "راشي" ان المقصود بـــ"استيطان الأرض" هنا هو طرد غير اليهود من اراضيهم واستيطان تلك الأرض؛ وهو ما اكد عليه في تفسيره لما جاء في سفر العدد 52/33 "ترثون הורשתם الارض وتسكنون فيها"؛ فيرى ان "ترثون הורשתם" هنا بمعنى "تطردون גֵרַשְׁתֶּם". وبالتالي اتبع رجال الدين اليهودي تفسير الربي راشي في اصدارهم فتوى طرد الفلسطينين من الاراضي الفلسطينية واستيطانها[47].

غرس الأشجار واستصلاح الاراضي الصحراوية في فلسطين

يؤكد رجال الدين اليهودي في إسرائيل على أن جوهر فريضة "استيطان الارض" هو عمارة الأرض من خلال زراعتها وغرس الاشجار فيها وعدم تركها خراب؛ وذلك عملا بوصية الربي موشيه بن نحمان: "اوصانا الرب بأن نرث الأرض التي منحها لأبائنا ابراهيم واسحاق ويعقوب، وألا نتركها في يد غيرنا من الأمم وألا نتركها خراب שממה؛ استنادا الى ما جاء في سفر العدد 33/ 53–54 "تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا...". ولذلك اصدر رجال الدين اليهودي في إسرائيل فتوى تحث اليهودي على الإقامة على الأراضي الفلسطينية المقفرة مثل صحراء النقب أو وادي عربة بهدف استصلاحها وزراعتها عملا بوصية الربي موشيه بن نحمان وتحقيقا لفريضة استيطان الارض[48].

فيرى رجال الدين اليهودي أن غرس الاشجار في أرض فلسطين هي الفريضة الاولى التي أمر الرب بني إسرائيل بها عند دخولهم تلك الارض، كما جاء في تفسير اللاويين الكبير:

ואתה אומר ובו תדבקון، אלא מתחלת בריתו של עולם לא נתעסק הקדוש ברוך הוא אלא במטע תחלה، הדא הוא דכתיב ויטע ה' אלהים גן בעדן، אף אתם כשנכנסין לארץ לא תתעסקו אלא במטע תחלה، הדא הוא דכתיב: כי תבאו אל הארץ ונטעתם[49]. وانت تقول ما جاء في تثنية 11/ 22 "(لأَنَّهُ إِذَا حَفِظْتُمْ جَمِيعَ هذِهِ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا لِتَعْمَلُوهَا، لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَسْلُكُوا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ) وَتَلْتَصِقُوا بِهِ" فبما أن الرب بدأ خلقه بغرس الأرض كما جاء في تكوين 8/2 "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا"، كذلك أنتم عندما تدخلون الارض عليكم بالغرس أولا كما جاء في لاويين 23/19 "وَمَتَى دَخَلْتُمُ الأَرْضَ وَغَرَسْتُمْ (كُلَّ شَجَرَةٍ لِلطَّعَامِ، تَحْسِبُونَ ثَمَرَهَا غُرْلَتَهَا. ثَلاَثَ سِنِينَ تَكُونُ لَكُمْ غَلْفَاءَ. لاَ يُؤْكَلْ مِنْهَا)".

ولذلك ربط رجال الدين اليهودي في إسرائيل بين غرس الأشجار واستصلاح الأراضي الصحراوية في فلسطين وبين فريضة استيطان الارض[50]، وربما استند رجال الدين اليهودي على ما جاء في التلمود البابلي عن غرس الأشجار:

אמרו ליה רבנן לרב המנונא: כתב רבי אמי ארבע מאה ספרי תורה. אמר להו: דילמא "תורה צוה לנו משה" כתב. אמר ליה רבא לרבי זירא: נטע רבי ינאי ארבע מאה כרמי. אמר ליה: דילמא שתים כנגד שתים, ואחת יוצא זנב[51].
قال العلماء إلى راف همنون: كتب الربي آمي اربعمائة نسخة من التوراة؛ فقال لهم: ربما كتب ما جاء في تثنية4/33 "يְנَامُوسٍ أَوْصَانَا مُوسَى" (اربعمائة مرة). فقال رابا إلى الربي زيرا: غرس الربي يناي اربعمائة شجرة كرم (في فلسطين عملا بفريضة استيطان الارض)، فقال له: ربما (غرس كرم صغير) اثنين في مواجهة اثنين وواحدة في المؤخرة.

ويؤكد الفقهاء اليهود في العصر الوسيط على أن زراعة الأراضي الفلسطينية بهدف تنمية اقتصاد الدولة هو جوهر فريضة استيطان الارض؛ كما أشار الربي موشيه سوفير في كتابه:

נלע"ד רבי ישמעאל נמי לא אמר מקרא ואספת דגנך אלא בא"י ורוב ישראל שרויין שהעבודה בקרקע גופה מצוה משום יישוב א"י ולהוציא פירותי' הקדושי' ועל זה ציותה התורה ואספת דגנך ובועז זורה גורן השעורי' הלילה משום מצוה[52]. ومن وجهة نظري المتواضعة الربي يشمعائيل أيضا قام بتطبيق ما جاء في تثنية 14/11 "فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ" على أرض فلسطين؛ حيث استقر أغلب بني اسرائيل هناك؛ لأن فلاحة الارض في حد ذاتها فريضة بسبب فريضة استيطان الارض وحصاد ثمارها المقدسة؛ ولذلك أوصت التوراة بما جاء في تثنية 14/11 "فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ". كما فعل بوعز في راعوث 2/3 "هَا هُوَ يُذَرِّي بَيْدَرَ الشَّعِيرِ اللَّيْلَةَ" بسبب فريضة استيطان الارض.

فيصف أحد الفقهاء اليهود الربي ناتان شبيرا ثمار أرض فلسطين قائلا:

יש להקשות למה ארץ ישראל הקדושה גרע ממנו המן הרוחני, ויש לומר שהטעם לזה הוא כי המדבר כל הדברים הגשמיים שבו הם חיצונים וטמאים גדלים בארץ העמים שהיא ממשלת השרים, ולכך אין פירותיה (כדאי) [כלי] לקבל הרוחניות הקדוש, שאין גוף טמא נעשה כלי לרוחני הקדוש, ואם היה הקדושה ההיא בפירותיה ומזונותיה היה ניתן על ידי השרים, וזה אינו שבענין המן שהוא מן השמים אין חלק לשרים כלל، אמנם ארץ ישראל פירותיה הם על ידי הקדושה، ואותו הרוחניות הראוי למן מתלבש בפירות הקדושים ההם ולכך אין מן בארץ ישראל[53]. يجب أن نتساءل لماذا في ارض فلسطين المقدسة لا يوجد المن الروحاني؟ يمكن القول أن سبب ذلك هو أن جميع الاشياء المادية الموجودة في الصحراء نجسة لأنها تنمو على أرض الأغيار (وبنو اسرائيل في تلك الارض ترعاهم) ملائكة الرب، ولذلك لا يمكن أن تحمل ثمار هذه الارض صفة الروحانية والقداسة. فلا يمكن للنجس أن يكون روحاني ومقدس، ولو اصبحت ثمارها واطعمتها مقدسة بفضل ملائكة الرب؛ فلا ينطبق هذا على المن (الذي يحمل القداسة) لأن (الرب

نفسه) أنزله من السماء وليس للملائكة فضل فيه، وبما أن ارض فلسطين ثمارها في الاصل تحمل القداسة (فلا حاجة لها) للمن الذي يحمل القداسة. فالقداسة التي وضعها الرب في المن وضعها في ثمار فلسطين ولذلك لا يوجد منٌ في فلسطين.

تحريم النزوح الإسرائيلي من فلسطين

أفتى بعض رجال الدين اليهودي عدد من الفتاوى تحرم خروج اليهودي من الأراضي الفلسطينية ولو في حالات الضرورة؛ واستندوا في فتواهم إلى عدد من أحكام وروايات علماء التلمود؛ منها ما جاء على لسان الربي شمعون بن يوحاي:

וכן היה רבי שמעון בן יוחאי אומר: אלימלך, מחלון וכליון, גדולי הדור היו, ופרנסי הדור היו; ומפני מה נענשו? מפני שיצאו מארץ לחוצה לארץ, שנאמר: "ותהם כל העיר עליהן, ותאמרנה הזאת נעמי". מאי "הזאת נעמי"? אמר רבי יצחק, אמרו: חזיתם נעמי שיצאת מארץ לחוץ לארץ – מה עלתה לה[54]? هكذا كان يقول الربي شمعون بن يوحاي: اليمالك ومحلون وكليون كانوا من عظماء جيلهم ومن العائلون لجيلهم. ولماذا عوقبوا؟ لأنهم خرجوا من فلسطين استنادا الى ما جاء في راعوث 19/1 "الْمَدِينَةُ كُلُّهَا تَحَرَّكَتْ بِسَبَبِهِمَا، وَقَالُوا: «أهذِهِ نُعْمِي؟»" (وهل قولهم) «أهذِهِ نُعْمِي؟» (يعني أن اليمالك ومحلون وكليون عوقبوا بسبب تركهم فلسطين)؟ فقال الربي يتسحاق: (أن اهل المدينة قالوا) هل رأيتم نعمي التي خرجت من فلسطين ماذا حدث (لزوجها وابنائها)؟!

فيرى رجال الدين اليهودي هنا أن موت إليمالك وابنائه محلون وكليون في سن مبكر عقوبة إلهية بسبب خروجهم من أرض فلسطين بسبب الجوع والقحط الذي لحق بأرض فلسطين؛ لذلك حرم رجال الدين خروج اليهودي من فلسطين مطلقا؛ ولو بهدف تطبيق فريضة دينية مثل فريضة الأرامل دون أبناء "اليبوم"[55]، كما جاء في التلمود:

ההוא גברא דנפלה ליה יבמה בי חוזאה, אתא לקמיה דרבי חנינא, אמר ליה: מהו למיחת וליבמה? אמר ליה: אחיו נשא כותית ומת — ברוך המקום שהרגו. והוא ירד אחריו[56]!? يُروى أن رجل (من ارض فلسطين) كان له ارملة دون ابناء (زوجة أخيه المتوفى) في مقاطعة حوذا (في بابل ويجب عليه الذهاب للزواج منها)، ذهب إلى الربي حنينا وسأله: ما حكم النزول (إلى بابل) للزواج منها؟ فقال له: اخاك (خرج من فلسطين) وتزوج من سامرية فمات – مبارك الرب الذي أماته. وأنت تريد أن تلحق به.

فهنا يحذر أحد علماء التلمود اليهودي من الخروج من الاراضي الفلسطينية خشية أن يلحق بأخيه المتوفى الذي خرج من فلسطين ومات بسبب ذلك. كما استند رجال الدين اليهودي في فتواهم "بتحريم الخروج من ارض فلسطين" على تحريم الربي يوحنان الذي جاء في باب عقد النكاح:

רב אסי הוה ליה ההיא אמא זקינה אמרה לי' בעינא תכשיטין עבד לה בעינא גברא נייעין לך בעינא גברא דשפיר כותך שבקה ואזל לארעא דישראל שמע דקא אזלה אבתריה אתא לקמיה דרבי יוחנן אמר לי' מהו לצאת מארץ לחוצה לארץ א"ל אסור[57]. كان للربي آسي أم مسنة؛ فقالت له: "أريد مجوهرات". فصنع لها مجوهرات. ثم قالت له: "أريد رجلا (اتزوج منه)". فقال لها: "سأبحث لك عنه". فقالت له "أريد زوجا وسيم مثلك". فتركها (هربا منها) وذهب إلى

أرض فلسطين. وعندما سمع راف اسي انها لحقت به. فجاء إلى ربي يوحنان وقال له: ما حكم الشرع عند الخروج من ارض فلسطين؟ فقال له "محرم".

ووقع خلاف بين رجال الدين اليهودي حول مسألة خروج اليهودي من الأراضي الفلسطينية بهدف التنزه؛ فألزم بعضهم المواطنين الإسرائيلين بالإقامة الدائمة على أرض فلسطين وحرموا الخروج منها للتنزه، واستندوا في ذلك إلى فتوى علماء التلمود:

אמר רבא: לשוט — דברי הכל אסור, למזונות — דברי הכל מותר, לא נחלקו אלא להרויחא.[58] قال رابا: يحرم (على اليهودي مغادرة ارض فلسطين) للتجول هذا بإجماع الفقهاء؛ ويحل له الخروج للسعي وراء الرزق بإجماع الفقهاء. كما اختلف الفقهاء حول خروجه لزيادة مكاسبه.

وهو ما أكد عليه الربي موسى ابن ميمون في كتابه تثنية الشريعة؛ فحرم الخروج من فلسطين إلا في حالات الضرورة:

אסור לצאת מארץ ישראל לחוצה לארץ לעולם. אלא ללמד תורה או לשא אשה או להציל מן העכו"ם. ויחזר לארץ. וכן יוצא הוא לסחורה. אבל לשכן בחוצה לארץ אסור אלא אם כן חזק שם הרעב עד שנעשה שוה דינר חטין בשני דינרין. במה דברים אמורים כשהיו המעות מצויות והפרות ביקר. אבל אם הפרות בזול ולא ימצא מעות ולא במה ישתכר ואבדה פרוטה מן הכיס. יצא לכל מקום שימצא בו רוח. ואף על פי שמתר לצאת אינה מדת חסידות שהרי מחלון וכליון שני גדולי הדור היו ומפני צרה גדולה יצאו ונתחיבו כליה למקום[59]. يُحرم الخروج من فلسطين مطلقا إلا لدراسة الشريعة أو للزواج أو لحماية الممتلكات من غير اليهود. وبعدما يحقق المرء الهدف الذي غادر من اجله عليه العوده إلى فلسطين. ويمكنه الخروج بهدف التجارة. ولكن يُحرم عليه الإقامة الدائمة خارجها إلا في حالة حدوث مجاعة شديدة بحيث يباع دينار القمح بدينارين. وعلما ينطبق ذلك؟ إذا توافر المال والثمار باهظة الثمن (فلا يمكنه المغادرة)، ولكن إذا كانت الثمار رخيصة ولا يمكنه شرائها لعدم امتلاكه المال فيمكنه المغادرة إلى مكان يجد فيه الراحة. ورغم (تلك الظروف القاسية؛ فمغادرة الأرض) ليست من سلوك الاتقياء، لان محلون وكليون اللذان كانا من عظماء جيلهم عندما اشتدت المجاعة وغادروا عوقبوا بالموت الالهي.

بينما يرى أغلب رجال الدين اليهودي أن تحريم علماء التلمود ومن بعدهم الربي موسى ابن ميمون يقصد منه تحريم الخروج منها بلا هدف؛ فيرى هؤلاء أن ارض فلسطين ليست سجن يُحرم على اليهودي الخروج منها للترويح عن النفس أو لزيارة بلدان أخرى بهدف الترويج إلى الأراضي الفلسطينية وتشجيع اليهود المقيمين خارجها على الهجرة إليها، وبالتالي يرى هؤلاء أن خروج اليهودي هنا من فلسطين يخدم بشكل غير مباشر تحقيق فريضة استيطان الأرض[60].

كما يرى بعض رجال الدين اليهودي أنه يجوز لليهودي الخروج من فلسطين أوقات الحروب فقط أما أوقات السلم فلا يجوز الخروج منها؛ فالخروج منها وقت السلم من باب العبادات الاجنبية والخروج عن اليهودية؛ كما جاء في ملحقات باب العبادات الاجنبية:

וכי תעלה על דעתך שדוד המלך עובד עבודת כוכבים אלא שהיה דוד דורש ואומר כל המניח את ארץ ישראל בשעת שלום ויוצא כאילו עובד עבודת כוכבים דכתיב (ירמיהו לב) ונטעתים בארץ הזאת באמת אינן עליה אין נטועין לפני באמת לא בכל לבי ולא בכל נפשי[61].وهل يتبادر الى ذهنك ان الملك داوود كان يعبد الاوثان؟! ولكن الملك داوود قال كل من يترك ارض فلسطين وقت السلم ويذهب كأنما يعبد الاوثان استنادا الى ما جاء في ارمياء 32/ 41 "وَأَغْرِسَهُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ" وإذا لم يتواجدوا فوقها فلن أغرسهم "بِكُلِّ قَلْبِي وَبِكُلِّ نَفْسِي".

وعلى هامش تحريم الخروج من فلسطين اصدر رجال الدين اليهودي فتوى تجيز للزوجة طلب الطلاق من زوجها حال رفضه الذهاب الى فلسطين وفي هذه الحالة عليه أن يدفع لها مال وثيقة الزواج (الكتوبا)؛ وإذا رفضت الزوجة الذهاب معه إلى فلسطين فلا يدفع لها الزوج شيئا من مال وثيقة الزواج وهو ما جاء في كتاب المائدة المصفوفة:

אמר האיש לעלות לא"י והיא אינה רוצה תצא בלא כתובה אמרה היא לעלות והוא אינו רוצה יוציא ויתן כתובה[62].
إذا قال الزوج لزوجته نذهب إلى فلسطين ورفضت فيطلقها بدون وثيقة زواج؛ وإذا قالت هي نذهب وهو لا يريد فعليه أن يدفع لها وثيقة الزواج.

وربما ذلك استندوا في فتواهم على ما اشار إليه علماء التلمود في باب وثيقة الزواج:

הכל מעלין לארץ ישראל ואין הכל מוציאין הכל מעלין לירושלים ואין הכל מוציאין אחד האנשים ואחד הנשים[63].قد يتمكن المرء من تهجير (أفراد عائلته) إلى أرض فلسطين لكن لا يستطيع إخراجهم منها. وقد يتمكن المرء من تسكينهم في القدس ولكن لا يستطيع إخراجهم منها. وسواء الزوج أو الزوجة (يستطيعون تهجير بعضهم إلى أرض فلسطين أو القدس).

كما اصدر رجال الدين اليهودي فتوى تجيز للابن ان يعصي ابويه تحقيقا لفريضة استيطان الارض؛ فلو اراد الابن الانتقال إلى فلسطين ورفض الابوين فيجوز للابن معصية امرهما لأن فريضة استيطان الارض أولى من طاعة الوالدين؛ واعتمدوا في هذه الفتوى على ما جاء في كتاب المائدة المصفوفة:

אמר לו אביו לעבור על דברי תורה בין מצות עשה בין מצות לא תעשה ואפילו מצוה של דבריהם לא ישמע לו[64].
إذا أمر الاب ابنه بالتعدي على فرائض الرب سواء أوامر أو نواهي أو تعاليمهم (تعاليم علماء التلمود) فلا يطيعه.

وكذلك افتى رجال الدين اليهودي بتحريم إظهار عيوب الأراضي الفلسطينية؛ بل يحرم بعضهم على اليهودي عند عودته إلى الأراضي الفلسطينية أن يردد قائلا "الجو شديد الحرارة في فلسطين" أو غير ذلك من الأقوال التي تنفر من الإقامة على أراضيها[65]. واستند رجال الدين إلى الرواية التي نقلت عن علماء التلمود في باب عقود الزواج:

רבי אבא מנשק כיפי דעכו. רבי חנינא מתקן מתקליה. רבי אמי ורבי אסי קיימי משמשא לטולא ומטולא לשמשא. רבי חייא בר גמדא מיגנדר בעפרה, שנאמר: "כי רצו עבדיך את אבניה ואת עפרה יחוננו"[66]. كان الربي أبا يقبل أحجار عكا؛ وكان الربي حنينا يصلح العثرات (يقوم بتمهيد الارض لمن ينتقلون الى فلسطين حتى لا يتحدثوا بسوء عن الارض)، وكانا الربي آمي والربي آسي يتنقلون بين الاماكن المشمسة والمظللة (بحثا عن الراحة وعدم تسرب الاحساس

بعدم الراحة من ارض فلسطين)، وكان الربي بر جمدا يتمرمغ في تراب فلسطين كما جاء في مزامير 102 /15 "لأَنَّ عَبِيدَكَ قَدْ سُرُّوا بِحِجَارَتِهَا، وَحَنُّوا إِلَى تُرَابِهَا".

الحث على العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين

يرى رجال الدين اليهودي في إسرائيل أن العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة تدخل ضمن الحروب الإلزامية "فرض عين" التي اطلق عليها علماء المشنا مصطلح "מלחמת מצוה" الواجبة على كل يهودي لأنها حروب تتعلق بفريضة استيطان الأرض؛ وليست من قبيل الحروب الاختيارية "מלחמות רשות" التي يعفى منها بعض الفئات؛ فيعرف علماء المشنا هذا النوع من الحروب في باب الجانحة:

במה דברים אמורים במלחמות הרשות, אבל במלחמות מצוה — הכל יוצאין, אפילו חתן מחדרו וכלה מחופתה[67].

في أي حالة (يعفى هؤلاء من القتال)؟ في حالة الحرب التطوعية؛ ولكن في حالة الحروب الإلزامية يجب أن يخرج العريس من خلوته والعروس من تحت الكلة (للمشاركة في الحرب) .

وبناء على ذلك افتى بعض رجال الدين اليهودي بوجوب اشتراك جميع المواطنين في إسرائيل في هذه العمليات العسكرية تحقيقا لفريضة استيطان الارض؛ كونها حروب إلزامية وليست تطوعية[68].

كما افتى رجال الدين اليهودي بوجوب التضحية بالنفس في سبيل الحفاظ على فريضة استيطان الأرض، حيث يرى هؤلاء أن ما يقوم به المسلمون بشكل عام والفلسطينيون بشكل خاص من مقاومة لمحاولات استيطان الارض يعتبر من قبيل "الاضطهاد الديني השמד"؛ ويجب على اليهودي وقت الاضطهاد الديني שעת השמד التضحية بنفسه في سبيل اقامة فرائض التوراة وعلى رأسها فريضة استيطان الارض[69]. واستند رجال الدين اليهودي إلى ما جاء في التلمود في باب مجلس القضاء الاعلى:

כי אתא רב דימי אמר רבי יוחנן לא שנו אלא שלא בשעת השמד אבל בשעת השמד אפילו מצוה קלה יהרג ואל יעבור[70]. عندما انتقل راف ديمي (من فلسطين إلى بابل نقل) عن الربي يوحنان قوله: لم يشرع العلماء (انه يجوز التعدي على أوامر الرب وقت الخطر) إلا مع عدم (تعرض اليهود) إلى الاضطهاد الديني لكن في حالة تعرضهم للاضطهاد الديني فيجب عليهم التضحية بأنفسهم وألا يتعدون على فريضة الرب.

بينما هناك ما يتعارض في التلمود مع ما ذهب إليه رجال الدين اليهودي؛ فيرى علماء التلمود أن الحفاظ على النفس اليهودية أهم من الحفاظ على تطبيق أحكام الشريعة، كما يرى علماء التلمود أن القاعدة الفقهية التي وضعوها "يجب عليهم التضحية بأنفسهم وألا يتعدون على فريضة الرب" إنما تتعلق بثلاث نواهي فقط وهي عبادة الأوثان، وزنى المحارم، وإراقة الدماء؛ كما جاء في باب مجلس القضاء الاعلى:

א"ר יוחנן משום ר"ש בן יהוצדק נימנו וגמרו בעליית בית נתזה בלוד כל עבירות שבתורה אם אומרין לאדם עבור ואל תהרג יעבור ואל יהרג חוץ מעבודת כוכבים וגילוי עריות ושפיכות דמים[71]. قال الربي يوحنان نقلا عن الربي شمعون بن يهوتسدَق: تجمَّع (علماء التلمود) ووضعوا قاعدة فقهية في الطابق العلوي من بيت نتسيه في مدينة اللُد: بالنسبة

لجميع نواهي التوراة؛ يجوز للمرء التعدي عليها في سبيل الحفاظ على نفسه من القتل فيما عدا (ثلاث نواهي): عبادة الأوثان، وزنى المحارم، وإراقة الدماء (فيجب أن يضحي بنفسه في سبيل عدم التعدي على تلك النواهي).

بينما يرى رجال الدين اليهودي أن ما شرعه علماء التلمود يتعلق بالفرائض الفردية من زنى وقتل وكفر بينما فريضة استيطان الارض ليست فريضة فردية وإنما هي فريضة عامة؛ وبالتالي يجب على جميع اليهود التضحية بأنفسهم في سبيل القيام بها كما طبقها بني إسرائيل من قبل في زمن يشوع بن نون أو في زمن الملك داوود. وعلى الجانب الآخر يرى بعض رجال الدين اليهودي أنه يجوز للمواطن الإسرائيلي التنازل عن الارض في سبيل الحفاظ على حياته؛ وأن المكلف بالحفاظ على فريضة استيطان الارض مؤسسات الدولة وليس المواطنين الإسرائيلين[72].

ولذلك وجه رجال الدين خطابهم إلى الجنود داخل الجيش الإسرائيلي؛ وحثهم على التضحية بأنفسهم في سبيل الدفاع عن الأرض وحماية حدود الدولة؛ وبالتالي يقوم هؤلاء الجنود بتأدية فريضتين: الفريضة الاولى استيطان الارض والفريضة الثانية إنقاذ النفس البشرية من خلال الدفاع المواطن الإسرائيلي. واصدروا لهم العديد من الفتاوى التي تبيح قتل الفلسطينيين بغير استحقاق؛ فقتل اليهودي لغير اليهودي لا يستوجب القصاص؛ واستندوا في ذلك على ما جاء في "المخيلتا" تفسير لفقرة في سفر الخروج[73]:

"וְכִי יָזִד אִישׁ עַל רֵעֵהוּ לְהָרְגוֹ בָעָרְמָה، מֵעִם מִזְבְּחִי תִּקָּחֶנּוּ לָמוּת." "וְכִי יָזִד"، לְהוֹצִיא אֶת הַשּׁוֹגֵג؛ "אִישׁ"، לְהוֹצִיא אֶת הַקָּטָן "רֵעֵהוּ"، לְהוֹצִיא אֶת אֲחֵרִים[74]. جاء في خروج 14/21: "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ" (بمعنى يجب القصاص من القاتل) ولكن جاء "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ" ليستثني من هذا القصاص القتل الخطأ؛ وجاء "انسان אִישׁ" ليستثني من هذا القصاص الصغير وجاء "صَاحِبِهِ רֵעֵהוּ" ليستثني من هذا القصاص غير اليهود".

وبالتالي يجوز للجنود داخل الجيش الإسرائيلي ارتكاب المجازر ضد المدنيين العزل في الضفة الغربية وقطاع غزة حفاظا على فريضة استيطان الارض

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى عدد من النقاط أهمها:

- تبنى اليهود منذ القدم نظام استعماري يحركه دوافع عنصرية دينية بهدف الاستيلاء على الأرض واستغلال سكانها واقتلاعهم من ارضهم بالإبادة والتهجير، وهو النظام الذي يتبناه اليهود الصهاينة في استعمارهم الاستيطاني الحديث والمعاصر لأرض فلسطين.
- أكد علماء التلمود على أن استيطان الأراضي الفلسطينية فريضة دينية نصت عليها التوراة؛ أطلقوا عليها "מצוות ישוב ארץ ישראל" أي فريضة استيطان "أرض اسرائيل".
- يرى رجال الدين اليهودي المعاصرون أن الحدود التي رسمها علماء التلمود لـــ"أرض إسرائيل" هي الحدود المقدسة التي يجب على اليهود الإقامة داخلها والتوسع في بناء المستوطنات اليهودية على أراضيها حفاظا على أداء فريضة "استيطان الارض".
- لجأ علماء التلمود إلى عدة طرق تشجع اليهودي على الإقامة على أرض فلسطين سواء من خلال الربط بين الإقامة على أرض فلسطين وضمان البعث بعد الموت والحياة في العالم الآخر. أو من خلال الربط بين الإقامة على أرض فلسطين والقيام بالعبادات الدينية نحو إقامة الصلاة أو إخراج زكاة.
- لم يقتصر النشاط الإستيطاني الإسرائيلي على الحكومات الإسرائيلية فحسب بل لعب رجال الدين اليهودي في إسرائيل دورا كبيرا في هذا المجال؛ من خلال اصدارهم عدد من الفتاوى التي تشجع اليهود على الإقامة داخل مستوطنات الضفة الغربية؛ فيرى رجال الدين اليهودي أن الإقامة على أراضي الضفة الغربية فريضة دينية ثوابها أعظم من الإقامة على سائر الاراضي الفلسطينية؛ كونها مناطق صراع ملتهبة بين الفلسطيني والإسرائيلي.
- يرى رجال الدين اليهودي المعاصرون في إسرائيل أن العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة تدخل ضمن الحروب الإلزامية "فرض عين" الواجبة على كل يهودي لأنها حروب تتعلق بفريضة استيطان الأرض.

Abstract

The Commandment to Settle the Land in Talmud and Jewish law books, and the impact of this on Israeli practices on Israeli-occupied territories.

By Alaa Taisir Ahmed

Since 1967 the Israeli governments made an effort to build and expand settlements, today, about 745.467 Israeli settlers who hold Israeli citizenship live in the settlements of the West Bank and East Jerusalem. The Israeli government still encourages citizen to reside in West Bank settlements to this day. While Israeli governments carried out economic motivation to achieve the goal of settling the Palestinian lands; the rabbis in Israel carried out religious motivation to achieve the goal of settling the Palestinian lands. They considered the settlement of the Palestinian lands a religious Commandment for every Jew. They called it the term "מצוות ישוב הארץ", meaning "the Commandment to settle the land.

Rabbi Zvi Yehuda Kook said in an article published in the Hatzofeh newspaper in 1952 on the anniversary of the celebration of the occupation of the Palestinian territories in 1948: "With the occupation of the land of Palestine and the announcement of the establishment of our state four years ago, we established the Commandment of settling the land; it is a miracle from heaven. On the day of the announcement the establishment of the of Israel is like the day the Lord gave us the law. Then the rabbis follow him and issue teachings that encourage Jews to reside within the occupied territories and expand the construction of Jewish settlements in order to preserve the fulfillment of the Commandment of settlement of the Land.

Through this study, we learn about the source from which the rabbis derived the statement that "settlement of Palestinian lands" is a religious Commandment obligatory for all Jews, and we present the religious teachings of the rabbis in Israel to preserve the fulfillment of the obligation of settling the land. We explain the impact of these teachings on Israeli practices in the occupied territories.

Key words: Talmud - land - Palestine - Settle

الهوامش

[1] הרב צבי יהודה הכוהן קוק: לתוקף קדושת יום העצמאות، הצופה، 30 אפריל 1952

[2] يقوم المعتقد اليهودي في محاولة اثبات احقية اليهود في الاراضي الفلسطينية على الوعد الإلهي الذي قطعه الرب مع ابراهيم واغفل هذا المعتقد أن الوعد يتعلق بابناء ابراهيم اسماعيل والذي جاء من نسله العرب واسحاق والذي جاء من نسله اليهود.

[3] גיטין ח.א

[4] תלמוד ירושלמי שביעית ו׳:א׳

[5] תרגום ירושלמי، במדבר ל״ד

[6] אשתורי הפרחי: כפתור ופרח، פרק יא، המכון ללימודי מצוות הארץ، ע"י חיים، תשע"א، דף יט.

[7] משנה תורה، הלכות קידוש החודש י״א

[8] שורץ، יהוסף בן מנחם،ספר תבואות הארץ،ספריית חב"ד، ירושליים، פרק א، דף יג .א

[9] רש"י על יהושע י״ג:ג׳:א׳

[10] אשתורי הפרחי: כפתור ופרח، פרק יא، דף יז.

[11] מדרש ספרי דברים פ׳

[12] الربي يهودا بن بتيرا احد علماء المشنا الذي عاش في مدينة نصيبين في بابل في نهاية فترة الهيكل الثاني حوالي 136 (אהרון מרדכי היימן: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שני، דפוס לונדון، שנת עת"ר، דף 557–555)

[13] الربي متيا بن حاراش أحد علماء المشنا الذي ينتمي الى الجيل الثالث عاش في القرن الثاني الميلادي (אהרון מרדכי היימן: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שלישי، דף 913)

[14] الربي حننيا ابن اخو الربي يهوشع بن حننيا أحد علماء الجيل الثالث عاش في القرن الثاني الميلادي؛ كان يلقب باسم عمه يهوشع بن حننيا (אהרון מרדכי היימן: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שני، דף 503)

[15] الربي يوناتان بن يوسف أحد علماء الجيل الرابع من التنائيم عاش في منتصف القرن الثاني الميلادي (אהרון מרדכי היימן: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שני، דף 697)

[16] תוספתא עבודה זרה ה׳

[17] موشيه سوفير (1762– 1839 م) أحد كبار العلماء اليهود في المجر؛ يطلق عليه ايضا اسم حاتام سوفير على اسم اشهر كتبه التشريعية.

[18] חידושי חתם סופר על סוכה ל"ו ב

[19] כתובות קי״א א

[20] כתובות קי״א א

[21] כתובות קי״א א

[22] ينتمي الى الجيل الثاني من علماء الجمارا في بابل .

[23] ينتمي الى الجيل الثالث من علماء الجمارا في فلسطين .

[24] כתובות קי״א

[25] כתובות קי״א א

[26] כתובות ק״י ב

[27] כתובות קי״א

[28] סוטה י״ד א

[29] קידושין פרק א משנה ט

[30] קידושין לז،א

[31] ברכות ל׳ א

[32] מגילה כ"ט א

[33] בבא קמא פ' ב

[34] גיטין ח' ב

[35] *שולחן ערוך, אורח חיים ש"ו*

[36] כתובות ק"י ב

[37] כתובות ק"י ב

[38] כתובות קי"א א

[39] כתובות קי"א א

[40] קידושין ל"א ב

[41] ברכות ה' א

[42] الربي شمعون بن يوحاي أحد علماء المشنا الذي ينتمي إلى الجيل الرابع عاش في أواخر القرن الاول وبداية القرن الثاني الميلادي؛ ويعد من تلاميذ الربي عقيفا. (אהרון מרדכי היימן: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שלישי، דף 1178)

[43] כתובות ק"י ב

[44] בבא קמא פ' ב

[45] אברהם יצחק הכוהן קוק: קריאות גדולות، הישיבה המרכזית העולמית، ירושליים، התש"ד، יח.

[46] גיטין ח' ב

[47] דברים כהוויתם: הרב ישראל הריאל، על שני פסקי הלכה של מזכירות גוש אמונים: שפיכות דמים מצוות ישוב הארץ، כתב עת צפייה 32

[48] פנייני הלכה، מצות ישוב הארץ، הרב אליעזר מלמד، מכון הר ברכה، תשנ"ג

[49] ויקרא רבה כה، ג

[50] על התורה ועל העבודה، הרב גבריאל קדוש، אמנות עתיך، תשע"ב.

[51] בבא בתרא י"ד א

[52] חידושי חתם סופר על סוכה ל"ו ב

[53] נתן שפירא، ספר טוב–הארץ، ירושליים، תובב"א، שנת תרנ"א، כב،ב

[54] בבא בתרא צא،א

[55] ظهر نظام الأرامل دون أبناء "יבום" في العصر القبلي تحقيقًا لهدف الإنجاب، وتخليد أسم الرجل الذي توفي دون ترك ذرية من صلبه، فإن توفي الزوج ولم يُنجب كان على أخيه أو أبيه أن يطأ أرملة أخيه، فورد في سفر التثنية 25/5–6 "إِن سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلاَ تَصِرِ امْرَأَةُ الْمَيْتِ إِلى خَارِجٍ لِرَجُل أَجْنَبِيٍّ. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا (יבמה יבוא עליה) وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، وَيَقُومُ لَهَا بوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ"، وفي حالة رفض الرجل الزواج من أرملة أخيه عليه أن يعلن ذلك في طقس يسمى "חליצה" أي خلع النعل

[56] כתובות קיא ، א

[57] קידושין ל"א ב

[58] מועד קטן יד، א

[59] *משנה תורה، הלכות מלכים ומלחמות ה׳*

[60] איסור יציאה מארץ ישראל: אופיר בן סעדון، מרכז ברקאי، תשע"ח

[61] תוספתא עבודה זרה ה׳

[62] שו"ע אה"ע עה، ד

[63] כתובות ק״י ב

[64] שולחן ערוך، יורה דעה רמ، טו

[65] מדרגות באהבת ארץ ישראל: הרב חיים טבריה، ארץ צלצל כנפיים، תשס"ב

[66] כתובות קיב א– ב

[67] דף מד،ב משנה

[68] מלחמות ישראל، גיוס צבא ותנאי מלחמה: הרב יהודה גרשוני، קול יהודה، תשן.

[69] מסירות נפש עבור כיבוש הארץ: הרב משה צוריאל، נשמה של שבת، תשנ"ט

[70] סנהדרין עד، ב

[71] סנהדרין עד. א

[72] מסירת שטחים במקום פיקוח נפש: דניאל סגרון، כרם ביבנה، תשע"ו

[73] דברים כהוויתם: הרב ישראל הריאל، על שני פסקי הלכה של מזכירות גוש אמונים: שפיכות דמים מצוות ישוב הארץ، כתב עת צפייה 31

[74] מכילתא דרבי ישמעאל، מַסֶּכְתָּא דְנָזִיקִין ד׳:י״ח

المصادر والمراجع:

أولا المصادر

- תורה נביאים כתובים ، החברה לכתבי הקדש ، ירושליים، 1991.
- תלמוד בבלי، צלום דפוס ווילנא עם כל המפרשים והוספות، הוצאת האחים ברנשטיין، ירושליים، תשכ"ח.
- משנה תורה، טקסט דיגיטלי באתר ספריא
https://www.sefaria.org.il/texts/Halakhah/Mishneh%20Torah
- שולחן ערוך، טקסט דיגיטלי באתר ספריא
https://www.sefaria.org.il/Shulchan_Arukh,_Orach_Chayim?tab=contents
- מכילתא דרבי ישמעאל، טקסט דיגיטלי באתר ספריא
https://www.sefaria.org.il/Mekhilta_DeRabbi_Yishmael?tab=contents
- תוספתא טקסט דיגיטלי באתר ספריא
https://www.sefaria.org.il/texts/Toseft
- חידושי חתם טקסט דיגיטלי באתר ספריא
https://www.sefaria.org.il/Chidushei_Chatam_Sofer_on_Niddah?tab=contents

ثانيا المراجع

- גרשוני، הרב יהודה: מלחמות ישראל، גיוס צבא ותנאי מלחמה، קול יהודה، תשן
- היימן، אהרון מרדכי: תולדות תנאים ואמוראים، חלק שני، חלק שלישי דפוס לונדון، שנת עת"ר.
- הפרחי، אשתורי: כפתור ופרח، פרק יא، המכון ללימודי מצוות הארץ، ע"י חיים، תשע"א

- הריאל، הרב ישראל: דברים כהוויתם، על שני פסקי הלכה של מזכירות גוש אמונים: שפיכות דמים מצוות ישוב הארץ، כתב עת צפייה 32
- טבריה، הרב חיים: מדרגות באהבת ארץ ישראל، ארץ צלצל כנפיים، תשס"ב
- מלמד، הרב אליעזר: פנייני הלכה، מצות ישוב הארץ، מכון הר ברכה، תשנ"ג
- סגרון، דניאל: מסירת שטחים במקום פיקוח נפש، כרם ביבנה، תשע"ו
- בן סעדון، אופיר: איסור יציאה מארץ ישראל، מרכז ברקאי، תשע"ח
- צוריאל، הרב משה: מסירות נפש עבור כיבוש הארץ، נשמה של שבת، תשנ"ט
- קדוש، הרב גבריאל: על התורה ועל העבודה، אמנות עתיך، תשע"ב.
- קוק، הרב אברהם יצחק הכוהן: קריאות גדולות، הישיבה המרכזית העולמית، ירושליים، התש"ד، יח.
- קוק، צבי יהודה הכוהן: לתוקף קדושת יום העצמאות، הצופה، 30 אפריל 1952
- שורץ، יהוסף בן מנחם،ספר תבואות הארץ،ספריית חב"ד، ירושליים، פרק א
- שטיינזלץ، עדין: מדריך לתלמוד، (ירושליים: הוצאת כתר، 1984).
- שפירא، נתן، ספר טוב-הארץ، ירושליים، תובב"א، שנת תרנ"א، כב،ב